# المنجز البلاغي والنقدي عند المبرد الأزدي – إضاءة جديدة

**أ.م.د. بان حميد فرحان**

جامعة بغداد – كلية التربية للبنات

**الملخص :**

حظي المبرد بمكانة علمية بين العلماء إذ أثنوا عليه ، وأشادوا بفضله ، ولعل أعظم أمر في سيرة المبرد العلمية هو تتلمذه على يد طائفة من العلماء الفضلاء مثل: أبي حاتم السجستاني ، والمازني ، والرياشي ؛ كما تتلمذ على يديه وأخذ العلم عنه عدد من العلماء مثل :الزجاج ، والصولي ، وابن السراج ، والنحاس ، وغيرهم ،كما اختصه كثير من أعيان البلاد لتأديب أولادهم ؛ فكان بذلك إمام عصره في اللغة والأدب بعد شيخه المازني ، ولقد كان لسعة علمه أثر كبير في تنوع مجالات بحثه ، وقد توجهت عناية الكثير من الباحثين والدارسين الى جهوده النحوية واللغوية ، على حين أن للمبرد ارآء بلاغية ونقدية مبثوثة في كتبه ؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل كان للمبرد جهود نقدية واضحة في النقد العربي ؟ وهل يمكن ان نعده ناقدا من نقاد العصر ؟ وهل اقتصر نقده على النواحي اللغوية والنحوية من دون أن يتلمس الوجوه البلاغية والجمالية الموجودة في النصوص الأدبية؟ ومامكانته واراء النقاد القدامى فيه.

وسنركز في هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة على وفق منهج وصفي تحليلي معتمدين على استقراء نصوص وتحليلها موضحين شخصية المبرد وعلمه ومكانته بين علماء عصره، فضلا عن بيان جهوده البلاغية النقدية تنظيرا وتطبيقا ؛ وذلك كله عن طريق :المقدمة ومحاور البحث وخاتمته وتوصياته.

**توطئـــــة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

يعد أبو العباس ، الملقب بالمبرد من أبرز أئمة البصرة ،وعالماً من علماء اللغة العربية و رائداً من رواد القرن الثالث الهجري الذين تشعبت معارفهم وتنوعت ثقافتهم وتعددت مشاربهم ،لذا نجده مجيدا لغير واحد من الفنون والعلوم ، ويتجلى ذلك في كثرة

مؤلفاته في العلوم: اللغوية ، والنحوية، والنقدية، والبلاغية، والعروضية فضلاً عن إلمامه بالأخبار والأنساب إلى غير ذلك ،وتدل كتاباته المختلفة على الحس اللغوي دقة ورهافة حسه اللغوي ،فضلا عن فطنته وصحة قريحته في نظمه ونثره.

وقد حظي المبرد بمكانة علمية بين العلماء إذ أثنوا عليه ، وأشادوا بفضله ، ولعل أعظم أمر في سيرة المبرد العلمية هو تتلمذه على يد طائفة من العلماء الفضلاء مثل: أبي حاتم السجستاني ، والمازني ، والرياشي ؛ كما تتلمذ على يديه وأخذ العلم عنه عدد من العلماء مثل :الزجاج ، والصولي ، وابن السراج ، والنحاس ، وغيرهم ،كما اختصه كثير من أعيان البلاد لتأديب أولادهم ،فكان بذلك إمام عصره في اللغة والأدب بعد شيخه المازني ، ولقد كان لسعة علمه أثر كبير في تنوع مجالات بحثه ، وقد توجهت عناية الكثير من الباحثين والدارسين الى جهوده النحوية واللغوية ، على حين أن للمبرد ارآء نقدية مبثوثة في كتبه ؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل كان للمبرد جهود نقدية واضحة في النقد العربي ؟ وهل يمكن أن نعده ناقداً من نقاد العصر ؟ وهل اقتصر نقده على النواحي اللغوية والنحوية من دون أن يتلمس الوجوه البلاغية والجمالية النقدية الموجودة في النصوص الأدبية؟ وما مكانته وآراء النقاد القدماء فيه.

وسنركز في هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة على وفق منهج وصفي تحليلي معتمدين على استقراء نصوص وتحليلها موضحين شخصية المبرد وعلمه ومكانته بين علماء عصره، فضلا عن بيان جهوده النقدية تنظيراً وتطبيقاً ؛ وذلك كله عن طريق : المقدمة ،ومحاور البحث ،وخاتمته ،وتوصياته.

## المبحث الأول : حياته وعلمه

### أولا : اسمه ونسبه

هو أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسنان* بن سليم بن سعد ... بن ثمالة... بن الأزد ، ويقال الأزد بن الغوث[1] ؛ ويقال أيضا " الثُّمالي الأزدي البصري والمعروف بالمبرد النحوي "[2]، وقد رُوي أنه ليس ثمالي وإدعى نسبه لها[3]؛ إذ صنع أبياتا على لسان عبد الصمد بن المعذل يثبت بها نسبه ، وفيها يقول: [4]

**سَأَلنا عن ثمالَة كلَّ حي *** فَقال القَائلُون و من ثمالَه**

فهو ينتسب إلى بني ثُمالة ، وهم بطن من الأزد[5].

وقد ذكر أبو عبيد الله محمد بن القاسم أن المبرد كان : " من السورجيين بالبصرة ممن يكسح الأرضين ، وكان يقال له حيان السورجي ، وانتمى إلى اليمن" [6]. وقد عُرف بلقب ( المبرِّد ) الذي اختلفت المصادر في سبب تلقيبه به [7].

## ثانيا: مولده ونشأته

ولد بالبصرة يوم الأثنين غداة عيد الأضحى سنة عشر ومائتين في خلافة المأمون[8] ، ونشأ فيها ثم رحل منها إلى (سر من رأى) بطلب من الخليفة المتوكل.

ولم تذكر المصادر شيئا عن نشأته سوى أنه " كان جميلا لاسيما في صباه "[9]، وأنه أنكب منذ صغره على التزود من اللغة على أيدي علماء عصره من البصريين ، وكان محباً للنحو والصرف " قرأ كتاب سيبويه على الجرمي(ت225هـ) ، ثم توفي الجرمي فابتدأ قراءته على المازني(ت249هـ) " [10].

عاش المبرد وترعرع في العصر العباسي ، وتثقف بثقافة عصره بعد أن تلقى علومه على مجموعة من العلماء منهم :الجرمي، والمازني، وأبو حاتم السجستاني (ت255هـ)، وكذلك أخذ عن الزيادي (ت249هـ)، والرياشي، والجاحظ (ت255هـ)، والتوزي (ت257هـ)، وروى عنهم كثيرا في مؤلفاته. وقد عاصر أحد عشر خليفة ، لكنه لم يتصل بغير المتوكل ، وورد بغداد بعد سنة (247هـ) ، وتوفى فيها سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد بالله [11].وقد رثاه ابن العلاف بأبيات قال فيها[12] :

**ذهب المبرد وانقضت أيامـــــه ... وليذهبن إثر المبـــرد ثعلبُ**

**بيتٌ من الآداب أصبح نصفـــــه ... خربا وباقي بيتها فسيخـــربُ**

**فابكوا لما سلب الزمان ووطنـــوا ... للدهر أنفسكم على ما يسلبُ**

## ثالثا: علمه وثقافته

انصرف المبرد إلى إلقاء دروسه وحضور مجالس العلم ، وحاز في نفوس معاصريه مكانة رفيعة ، وحظي بتقديرهم ، وكان الوزراء والأمراء وعلية القوم يستقدمونه لمجالسهم العلمية ومنادمتهم وتأديب أبنائهم ؛ لغزارة علمه ، وما كان يتمتع به من ذكاء لماح ، وحضور بديهة ، وسرعة جواب . ويعد المبرد آخر أئمة المدرسة البصرية ، ولقد تأثر تـــأثرا كبيرا باستاذه سيبويه، وقد عدّ نفسه الأمين على النحو البصري من بعده[13].

وحرصه على مصطلحات سيبويه لايعني أنه مقلد له في كل شيء بل إنه اسهم في تطور الدرس النحوي بآرائه النحوية والصرفية التي اعتمدها النحاة من بعده ،وكان مذهبه

العلمي في اللغة والنحو يجمع فيه بين السماع والقياس ؛ إذ كان المبرد يحتكم إلى القياس ولكنه لم يكن يقدمه على السماع عن العرب ، وكان يرفض ما قلّ على ما كثر وروده على السنتهم ، ويرد ما يخالف الكثرة الكثيرة الدائرة في أفواههم ، ولكن حين لا توجد هذه الكثرة كان يفسح المجال للقياس ،وكذلك كان يفسح له حين يشيع استعمال بين العرب؛ وليس معنى ذلك أنه كان يقيس على الشاذ والنادر ، وإنما كان يقيس على ما سمع كثيرا قائلا: "إذا جعلت النوادر والشواذ غرضك واعتمدت عليها في مقاييسك كثرت زلاتك"[14]، ولم يكن متقيدا برأي المذهبين االبصري والكوفي[15].

ولم تقف اسهامات المبرد عند اللغة والنحو ؛ إذ كان له باع في البلاغة والأدب ، وقد استعمل مجموعة من المصطلحات البلاغية يتفق في بعضها مع ما استقرت عليه فيما بعد في كتب البلاغة نحو مصطلح الحذف والاستفهام؛ ولعل ذلك عائد إلى استقرار المصطلحات النحوية قبله ، مستعينا في الوقت نفسه ببعض المصطلحات التي كانت سائدة حتى عصره، والتي وضعت لها فيما بعد مصطلحات أخرى مثل مصطلح المجاز ؛ فقد استعمل في خروج الاستفهام عن أصل وضعه إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته ؛ فمجاز ما يقع من هذا تقريراً لا استفهاماً في مدح أو ذم قول جرير :

**أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأَندى العالَمينَ بُطونَ راحِ**

الذي أدخل ألف الاستفهام على ( ليس) لتفيد نفي النفي ، ونفي النفي اثبات ؛ والمعنى: أنتم خير من ركب المطايا... [16].

وقد كانت له أرآء مهمة في علم المعاني وتحديدا في أضرب الخبر الذي يعد بابا جديدا اضافه المتأخرون إلى علم المعاني بفضل المبرد، فضلا عن ارآئه في الاستفهام والالتفات والتعقيد اللفظي ، أما علم البديع والبيان فقد بذل فيهما جهدا واضحا وكانت له اراء جليلة في التشبية والكناية والمجاز والأستعارة[17] .

وفضلا عن رياسته وتفرده بمذهب أصحابه وإربائه عليهم بفطنته وصحة قريحته ، فقد روري عنه أنه كان شاعراً يقول الشعر ولا ينتحله ، " وكان له شعر جيد كثير لا يدعيه ولا يفخر به ، فمنه قوله في عبيد الله بن طاهر بن الحارث ، وقد ورد عليه كتابه ... بأبيات قالها على البديهة :

**بنفسي أخ بر شددت به أزري فألفيته حرا على العسر واليـــــسر**
**أغيب فلي منه ثناء ومدحـــة وأحضر منه أحســـــن القول والبشر**
**وماطـــاهر إلا جمال لصحبـــة ونـــــاصر عافية على كلب الـــدهـــر**

**تفردت ياخير الورى فكــفيتني مطالبة شـــــنعاء ضاق لها صدري"** [18]

وكان مع غزارة علمه ، وكثرة حفظه ، ووضوح شرحه يتمتع بجميل الرواية وحسن الفكاهة، وكثرة النوادر مع حلاوة وعذوبة خطابه ومنطقه ، وقد ساهم بعلمه وفكره في إثراء الحركة العلمية في عصره ، مصنَّفا ما يقارب الخمسين مؤلفاً في مختلف فنون العربية ، أشهرها : كتاب الكامل ، والمقتضب، والفاضل ، والمذكر والمؤنث ، وشرح لامية العرب ، والبلاغة ، والتعازي والمراثي ... وتتضح من محتوى مصنفاته غلبة الطابع اللغوي والأدبي ، فهو شيخ من شيوخ النحو والعربية في زمانه ،وتدل كتاباته المختلفة على أنه كان " دقيق الحس اللغوي دقة شديدة ، فأودع كتبه ومصنفاته كثيرا من الملاحظات اللغوية والتعبيرية التي تدل على رهافة حسه" [19] .

ولعل من أهم مؤلفاته كتابه ( الكامل ) الذي يتوافق عندنا اسمه مع ما فيه من علم جم، وقد عرف المبرد كتابه في مقدمته بالقول: " هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب مابين كلام منثور، وشعر مرصوف ،ومثل سائر ،وموعظة بالغة ،واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة؛ والنية فية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا وافيا شافيا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا ،وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا وبالله التوفيق والحول والقوة ..." [20] .

ويعد كتابه الكامل من المؤلفات " التي يصعب اليوم أدراجها ضمن فرع من فروع الأختصاصات اللغوية والأدبية ؛ فهو جامع لأشتات من العلوم والمعارف لا يربط بينها إلا وقوعها في حيز الأدب كما كان يفهمه العرب القدامى ؛ ولهذا عد من امهات الأدب واصوله" [21]. فهو يحتوي على خطرات نقدية وبلاغية تكشف عن الجهد الذي بذله المبرد في طرحه لقضايا تتعلق بخصائص النص الأدبي ، وإبراز أبعاده الفنية والجمالية مع عرضه لبعض الاساليب البلاغية وتحديدها وإبراز أقسامها ودورها في الخروج بالكلام عن دائرة العموم إلى صيغة متميزة معدولة عن النمط العادي في استعمال الكلام [22]، مما يدعونا الى النظر والتبحر لاستخراج آراء المبرد فيه من دون سواه من كتب المبرد .

## المبحث الثاني : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

تميّز المبرد بمكانته العلمية العالية والمميزة بين علماء عصره ، وقد شهد له ببراعة علمه وتفوقه معاصروه والعلماء الذين تتلمذوا على يديه ومنهم تلميذه نفطويه(ت323هـ) الذي قال فيه :" ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه"[23] . كما وصفه تلميذه أبن أبي

الأزهر بالقول : " كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان وبراعة البيان ، وملوكية المجالسة وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحظ، وصحة القريحة ، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح ،وعذوبة المنطق على ماليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه" [24]، وقد قيل أنه : " كان حسن المحاضرة ، فصيحا بليغا"، مليح الأخبار ثقة فيما يرويه"[25] .

وكان المبرد " خفيف الروح ، مليح الأخبار ، كثير النوادر"[26]، وقد ذكره الإمام إسماعيل القاضي (ت 282هـ) بقوله: " ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه، وإنما لقب المبرد لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام سأله عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن الجواب فقال له: قم فأنت المبرد ( بكسر الراء) ، أي المثبت للحق ؛ فحرفه الكوفيون ، وفتحوا الراء" [27] .

وقد عاصر ثعلبا(ت 291هـ ) وكان ثعلب يكره لقاءه ،وكان بينهما ما يكون بين المتعاصرين من التنافس، والمنافرة ما لاخفاء به ، وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد الفقيه الموصلي وكان صديقهما ، قال : " قلت لأبي عبد الله الدينوري :لم يأتِ ثعلب الأجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة ، حلو الإشارة ، فصيح اللسان ،ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ؛ فإذا إجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن "[28]، الأمر الذي يدعو لتفضيله ؛ إذ كان أبو إسحاق الزجاج يفضل المبرد ويلزمه [29].

ومما يرويه أبو الطيب اليوسفي الكاتب إنه كان " يوما عند أبي حاتم السجستاني إذ أتاه شاب من أهل نيسابور فقال : يا أبا حاتم إني قدمت بلدكم ، وهو بلد العلم والعلماء ، وأنت شيخ هذه المدينة ، وقد أحببت أن أقرأ عليك ( كتاب سيبويه) ، فقال : ( الدين النصيحة) إن أردت أن تنتفع بما تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام ، محمد بن يزيد ، فتعجب"[30]. وقد روي عن السيرافي(ت 368 هـ) قوله: " سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ، ولقد فاتني منه علم كثير"[31] . وقال أيضا : " أنتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى أبي العباس بن يزيد الأزدي "[32] .

أما أبو منصور الأزهري (ت370هـ) فقد قال عنه في مقدمة معجمه تهذيب اللغة " كان أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه" [33] .

وقد ذكره ابن جني(ت 392هـ) بقوله : " يعد جبلا في العلم، وإليه أفضت مقالات أصحابنا، وهو الذي نقلها وقررها ، وأجر الفروع والعلل والمقاييس عليها"[34] .

وقد ذهب البغدادي(ت463هـ) إلى وصفه بالقول: " شيخ أهل النحو ، وحافظ علم العربية ... وكان عالما فاضلا" موثوقا" به في الرواية "[35] ، وكان مقدما في الدول عند الوزراء والأكابر[36] .

## المبحث الثالث : جهوده البلاغية

لقد كان للمبرد دور في تطور الدرس البلاغي ، ولعل آراؤه البلاغية في كتابه (الكامل) خير شاهد على قولنا ، ومما عرض له التعقيد اللفظي " الذي يترتب عليه خفاء الدلالة على المعنى المراد في الكلام بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصلية أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض "[37]. مستشهدا بقول الفرزدق الذي يقول فيه : " ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني في قوله :

**وما مِثلهُ في الناسِ إلا مُملكاً أبو أمهِ حيٌّ أبوهُ يقارِبُهُ** " [38]

وقد علق عليه قائلاً: "مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام .... خال هشام بن عبد الملك فقال وما مِثلهُ في الناسِ إلا مُلّكاً يعني بالمملك هشاماً أبو أم ذلك المملّك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً ،وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حيَ يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ؛ فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير"[39].

ومما عرض له أيضا في علم المعاني الالتفات ، مبيناً أن " العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب"[40] كما في قول عنترة[41]:

**شطَّت مزار العاشقين فأصبحت عسراً علّي طلابك أبنة محرمِ**

وقد أشار أيضا إلى بعض الصيغ التي خرجت عما وضعت له كصيغة الاستفهام ، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة الانعام: الآية 116]، فقد بين المبرد هذه الصيغة قائلاً : " إنما هو توبيخ وليس استفهام وهو جل وعز العالم بأن عيسى لم يقله"[42].

وأما الاستفهام الوارد في قول عبد الله بن معاوية وهو يعاتب صديقه[43]:

**أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا**

فقد بيّن أنه تقرير وليس استفهام ، موضحا المعنى : " أني قد بلوتك تظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئا " [44] .

كما أوضح اختلاف فهم المعاني باختلاف الالفاظ المخبر بها ؛ فكان له بذلك الفضل في فتح باب جديد في علم المعاني أطلق عليه المتأخرون باب أضرب الخبر ، الذي يضم ثلاثة أضرب هي: الابتدائي، والطلبي، والأنكاري[45].

ولم يقف المبرد عند حدود علم المعاني إذ اخذ يبحث أيضا في مسائل تتعلق بعلمي البيان والبديع من ذلك ما عرض له من فن التشبيه الذي خصص له باباً خاصاً به ، متمثلا لنماذج شعرية تحوي التشبيه في الشعر الجاهلي والاسلامي والأموي وحتى بعض اشعار العصر العباسي، مقسما لها على أقسام ووصفها بصفات أعتمد فيها على ذوقه الخاص ، فضلا عن تتبعه وشرحه للتشبيهات الموجودة في القرآن الكريم .

وكان اللغويون قبله وبعده معجبون إعجابا كبيرا بتشبيه امرئ القيس ، إذ يقول [46]:

**كأن قلوب الطير رطبا ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي**

والذي عدَّه المبرد من أحسن التشبيهات المصيبة إذ قال : " فأحسن ذلك ماجاء بإجماع الرواة ما مرَّ لامرئ القيس في كلام مختصر؛ أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين"[47] معلقا على البيت بالقول : " فهذا مفهوم المعنى فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصَّل فقال كأنَّه رطبا العناب وكأنه يابس الحشف ، قيل له : العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوماً، ويرى مابعد ذلك ذكر من التكرير عياً "[48]. وقد كان محسنا موفقا في اختياره لهذا التشبيه الذي يظهر دقة الشاعر وبراعته في جمع تشبيهين في بيت واحد.

ومما عرض من التشبيهات قول الخنساء [49]:

**وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نارُ**

الذي يجد فيه تشبيهاً متجاوزا مفرطا معلقاً عليه بقوله : "فجعلت المهتدي يأتم به ، وجعلته كنار في رأس علم؛ والعلمُ :الجبل" [50].

ومن التشبيه الصريح الذي يقوم بنفسه ولا يحتاج إلى تفسير أو تأويل لأنه ظاهر مكشوف يتسم بالبساطة والوضوح[51]، قول ذي الرمة [52]:

**ورملٍ كأوراك العذارى قطعته وقد جللته الظلمات الحنادس**

الذي يعده المبرد " من حلو التشبيه وقربية وصريح الكلام وبليغه"[53]. فقد أخذه تشبيهه من وحي الطبيعية المحيطة به من دون تزويق ومبالغة .

ومن عجيب التشبيه عنده " قول القائل :

**لعيناك يوم البين أسرع واكفاً من الفنن الممطور وهو مروح**

وذاك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن، فإذا هبت به الريح لم تلبثه أن تقطره." [54] .

وقد استحسن المبرد قول بشار[55] :

**وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحراً**

**ونخال ما جمعت عليه بنانها ذهباً وعطرا**

ويعده تشبيهاً جامعاً[56]؛ إذ شبه تأثير كلام محبوبته في نفس سامعها بتأثير السحر ،وهو ما نجده مأخوذ من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن من البيان لسحراً »[57]، ولما اشتهر هاروت بتمام المقدرة على السحر ؛ بالغ الشاعر في السحر المشبه به بأنه سحر هاروت ، وذكر هاروت تخييل ، وجعل هاروت نافثاً لأنهم يعالجون السحر بالنفث في العقد ، مصداق ذلك قوله عزّ وجل ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [سورة الفلق:5 ].

وتحدث عن الكناية قائلاً : " والكلام يجري على ضروب ؛ فمنه ما يكون في الأصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ، ومنه ما يقع مثلا فيكون أبلغ من الوصف"[58]. وتعريفه هذا يعد من الاسس النظرية العامة التي أسهم المبرد في صياغتها صياغة واعية لم يسبقه إليه أحد، معبّرا عن الحقيقة بقوله : ( ما يكون في الأصل لنفسه) ، وهي عبارة أبلغ من مصطلح الحقيقة في التعبير عن المعنى الحقيقي ،حيث يتطابق اللفظ ومعناه عند قائله ، على حين نجد كلاما أخر يقصده المتكلم بطريقة غير مباشرة يكون فيه اللفظ والمعنى الحاضر في النص علامة على المعنى الغائب الذي يقصده [59].

ولقد قسم المبرد الكناية على ثلاثة أضرب :

الأول : للتعمية والتغطية ؛ ممثلاً له بابيات عدة منها قول الشاعر[60]:

**وقد أرسلت في السرِّ أن قد فضحتني وقد بحت باسمي في النَّسيب وما تكني**

الثاني: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش ، وهو نوع من الكناية ، وقد ذكرها بقوله : " ويكون من الكناية – وذاك أحسنها – الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على

معناه من غيره "[61]، وقد مثل لها بقول الله ﷻ: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [سورة المائدة:الآية 76] ، وهنا كناية عن قضاء الحاجة[62].

الثالث: التفخيم والتعظيم ، يقول: ومنه " اشتقت الكنية وهو أن يعظم الرجل أن يدعى بإسمه ووقعت في الكلام على ضربين : وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه ، وفي الكبير أن ينادى بأسم ولده صيانة لأسمه ؛ وإنما يقال كني عن كذا بكذا... لبعض ماذكرنا" [63].

وقد ذكر الكناية بلفظها أو ما يفيد معناها في مواطن كثيرة ، مركزا على ماجرى على لسان العرب منها تكنيتهم عن المرأة بالبقرة والنعجة ، وهو ماورد في كتاب الله وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ [ سورة ص:23] ؛عليه لم تخرج الكناية عنده خارج الحدود التي رسمها اللغويون وعلماء البلاغة قبله سواء في شقها اللغوي أو الاصطلاحي إلا أنه جمع مسائلها في باب واحد[64] .

ولم يقف عند الكناية فحسب بل تجاوزها ليتناول المجاز في مواضع متعددة في كامله من دون أن يفرد له بابا مستقلاً ، وقد ذكره استطرادا هي عادة المتقدمين من العلماء مثل ابو عبيدة والجاحظ وابن قتيبة[65].

ومن أمثلة المجاز قوله ﷻ:﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سورة سبأ:الآية 33] ، وقد جعل الفعل لليل والنهار على السعة والمعنى " بل مكركم في الليل والنهار"[66] ، وهنا صورة فيها مجاز عقلي ، أسند فيها الفعل أو أضيف مصدر إلى غير ما هو له ، وهو الزمان ؛ فالليلة يمكر فيها وينام كما يمكر في النهار .

ومن المجاز أيضا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة: الآية185] ، وقد بين المبرد أن " الشهر لايغيب عنه أحد ، ومجاز الآية: فمن كان منكم شاهدا بلده في الشهر فليصمه ، والتقدير (( فمن شهد منكم )) ؛ أي فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه نصب الظروف ولا نصب المفعول به"[67]. وتفسير المبرد للشهادة بالحضور والإقامة في البلد مخالف لما ذهب له جمهور المفسرين برؤية الهلال وليس الاقامة وعدم السفر[68] .

ومما استشهد به المبرد للمجاز قول جرير[69].

**لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت ، وما ليل المطي بنائم**

فقد جاء المجاز في قول جرير : (وما ليل المطي بنائم) بإسناد النوم إلى ليل المطي مجازا غير حقيقي ، إذ إن ليل المطي لا يحدث فيه النوم على الحقيقة ، وإنما يقع فيه الفعل أي ينام فيه ؛ عليه فالليل ليس بنائم إنما هو منوم فيه ، وعلى هذا ففي كلمة ( نائم) مجاز عقلي علاقته المفعولية.

وقد كان للاستعارة حظ من حديث المبرد في تفسيره لكثير من آيات القرآن ، إذ كان من القائلين بالبلاغة القرآنية ، وأوائل القائلين بالاستعارة في الحرف[70]، وقد لفت نظره إليها قوله تعالى : ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [سورة طه:الآية 71] ، فذهب في تفسيره الآية إلى القول: " أي (على) ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت (في) لأنها للوعاء ، يقال : ( فلان في النخل) أي قد أحاط به .قال الشاعر :

**هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا** " [71]

وقد ساق المبرد عددا من النماذج التي حلَّ فيها حرف محل حرف أخر ،من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورةالتوبة:الآية93] ، الذي قال فيه : " والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنيئة فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه ؛ وهذا مثل وأصله في السيف وما أشبه ، يقال: طبع السيف ، إذا ركبه صدأ يستر حديده و(وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) من ذا" [72] ؛ وجمال تفسيره هذا يكمن في كونه شبه الرين الذي يصيب القلوب فيفسدها ويمنعها من إدراك الحق والإذعان له بالصدأ الذي يكسو السيوف فيمنع بريقها ويصيبها بالتآكل والتلف ، وفي هذا استعارة تصريحية أصلية ، والجامع ما يترتب على كل من المضار والمفاسد ، والقرينة استحالة أن يصيب القلوب لصدأ المألوف الذي هو آفة الحديد.

وآخر قولنا: إن من أهم ما تناوله المبرد هو ظاهرة المشترك اللفظي، والذي يدرس حديثاً في ميدان الدراسات اللغوية ضمن مباحث علم الدلالة البنيوي ، وفي إطار نظرية العلاقات الدلالية ؛ ويفهم من هذه الظاهرة أن اللغة قد تستخدم الكلمة الواحدة لأكثر من دلالة، فمن ذلك أن الفعل(ضرب )؛ على سبيل المثال ــ له في المعجم معان مختلفة ، منها :

(1) ضرب زيد عمْراً؛ أي عاقبه (2) ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً )؛ إي ذكر.
(3) ضرب له قبة ؛ أي أقام. (4) ضرب العملة ؛ أي صاغها.

(5) ضرب له موعداً ؛ أي حدَّد. (6) ضرب في الأرض؛ أي سعى .

فالفعل ( ضرب ) تحتمل هذه المعاني وغيرها ، ولا تختص بواحدة منها إلا في سياقها اللغوي [73]. ومنه أن لفظ ( الخال ) هو أخو الأم ، ويطلق على من توسمت فيه الخير ، ويطلق على السحاب الذي يرجى منه المطر ، وعلى الشامة تكون في الخد ، وعلى لواء الجيش [74].

لقد جاءت شواهد المبرد البلاغية ذخراً للدارسين من بعده ، وفيها يتضح لنا ذوقه العربي الخالص الناتج من ثقافته العربية الخالصة التي لم تشب بعلم أجنبي ، ومن أحساسه بأثر الشعر وجمالياته.

## المبحث الرابع :جهوده النقدية

يعد المبرد رائداً من رواد النقد الأدبي عند العرب في القرن الثالث الهجري، وله مواقف وآراء مهمة كان لها أثر في تطور الحركة النقدية ؛ الأمر الذي يدعونا هنا لجمع لمحاته التي دونها ، ولنتفهم الأسرار التي بنى اخياراته ؛ لنكشف بذلك عن آرائه النقدية التي تناولها في كتبه والتي لم تُعالج بما يتلاءم ومكانته العلمية العالية.

وقد شغلت قضية اللفظ والمعنى الفكر النقدي عند العرب منذ أقدم العصور، مشكلة محوراً أساسياً من المحاور التي تحدث عنها النقاد والبلاغيون في القرن الثالث الهجري ، ومحتلة حيزاً واسعاً من اهتمامهم، إذ أولوها عناية كبيرة في مؤلفاتهم ، وكان المبرد واحداً من الذين عرضوا لها ؛ إذ يطرح علينا موقفه من مسألة اللفظ والمعنى معالجاً الجانب اللفظي في وجوه متعددة ، فعلى صعيد المفردة يبين أن " من الفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف "[75] ، قول عنترة [76] :

**يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم**

وكذلك قول الحطيأة [77] :

**وذاك فتى إن تأته في صنيعةٍ إلى ماله لا تـــــأته بشــفيع**

ويرى في قول الشاعر :

**والشيب ينهض في السواد كأنه ليـــــل يصيح بجانبيــه نــهار**

إنه أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ [78] .

وقد ذهب إلى تفضيل قول أبي حية النميري[79]:

**رمتني وســتر الله بينــي وبينها عشــية أرآم الكنـــــاس رميمُ**

إذ أحسن الشاعر في تخلصه من التكلف فيه ، وسلامته من التزيد ، مع بعده من الاستعانة [80] .

وقد وجد في قول أعرابي من بني كلاب ما يستحسن لفظه ، ويستغرب معناه ويحمد اختصاره ، إذ يقول [81] :

**فمن يك لم يغرض فإني وناقتي بحجر إلى أهل الحمى غرضان**
**هوى ناقتي وقدامي الهوى وإني وإياها لمختلفان**
**تحن فتبدي مابها من صبابة وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني**

وقد عمد إلى توضيح البيتين وشرحهما بقوله : " وأما قوله لقضاني فإنما يريد لقضى علي الموت ، اخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج" [82] .

ومما يستحسن المبرد إنشاده من الشعر " لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة تردد ضربه من المعاني بين الناس قول أبن ميادة لرياح بن عثمان بن حيان المري من مرة غطفان بقوله في فتنة محمد بن عبد الله بن حسن وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل" [83] ، فقال ابن ميادة +:

**أمرتك يا رياح بأمر حزم فقلت هشيمة من أهل نجد**
**نهيتك عن رجال من قريش على محبوكة الأصلاب جرد**
**و وجداً ما وجدت على رياح وما أغنيت شيئا غير وجدي**

ويدعو المبرد إلى ضرورة تجنب الالفاظ المستكره والقبيحة والهجينة والمعاني البعيدة، مستشهدا بقول الفرزدق في مدح إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك إذ يقول[85] :

**وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حيٌ أبوه يقاربه**

معيبا على الشاعر هذا الإلتواء في القول ، والذي يقود إلى عدم فهم البيت إلا إذا أعيد ترتيب كلماته ووضعها في أماكنها وضعا طبيعيا على وفق هذا السياق ،وفي ضوء ترتيب المعاني في الذهن كأن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم المملك أبو هذا الممدوح فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير... ، والذي أفسد الكلام في هذا البيت وهجَّنه لجوء الشاعر إلى التعقيد اللفظي ، على الرغم من فصاحة الألفاظ ، ولكن نظم البيت على هذه الصورة من التقديم والتأخير أدى إلى سماجة الأسلوب ، وتوعره المفضي إلى القبح.

وقد عني أبو العباس المبرد بما يحدثه النص الأدبي من انفعال شعوري، ففي حديثه عن نقد الشعر يقول : " وحُدِّثْتُ أن الكميت بن زيد أنشد نُصيباً ، فاستمع له ، فكان فيما أنشده :

**وقد رأينا بها حوراً منعمةً بيضاً تكامل فيها الدلُّ والشنبُ**

فثنى نصيب خنصره ، فقال له الكميت: ما تصنع ؟ فقال : أحصي خطأك ، تباعدت في قولك: تكاملَ فيها الدلُّ والشنبُ ، هلا قلت كما قال ذو الرمة :

**لمياء في شفتيها حوةٌ لعسٌ وفي اللثاتِ وفي أنيابها شنبُ**" (86)

ولما كان الكلام غير متآلف في تركيبه ، ولا مترابط في الفاظه ، ولم يجر على نسق تستشعر فيه مناسبة اللفظة وانسجامها مع أختها، مما لا يمجه السمعُ ويأباه الذوقُ ، ويعد عيباً عند العرب عامة؛ فقد عابَّ على نصيب أبياته السابقة، معللاً سبب قبح هذا الكلام بالقول: " ( تكامل فيها الدل والشنب ) قبيح جداً وذلك أنَّ الكلام لم يجر على نظم ، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أنْ ينظم على نسق ، وأنْ يوضع على رسم المشاكلة " (87).

وإذا كان المبرد متابعاً للجاحظ ، وابن قتيبة في الحديث عن اللفظ والمعنى وأهمية وضوح المعنى وقرب مأخذه ، فإنه يشير أيضاً إلى جمال اللفظ ، وغرابة المعنى ، مع الاختصار المحمود ، مؤكداً أن " مما يستحسن لفظه ، ويستغرب معناه ، ويحمد اختصاره، قول أعرابي من بني كلاب :

**فمن يك لم يغرض فإنِّي iiوناقتي بحجرٍ إلى أهل الحمى غرضان**

**تحن فتبدي ما بها من صبابةٍ وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني**

يريد لقضي علي ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج "(88) ، مشيراً في الوقت ذاته إلى أن الحسن في الألفاظ قد لا يكفي ليكون وحده معياراً للحكم على جودة الشعر وقبول المتلقي له ، إنما ينبغي أن يصبح الحسن مرتبطاً باستغراب معنى مخترعاً لم يسبق إليه أحد من قبل ، وهذا ما يسميه النقاد بـــ (المعاني العقم ) ، وقد أورد المبرد لذلك مثلاً من أشعار المحدثين إذ يقول : ومن التشبيه الجيد قول الحسن بن هاني :

**لم يطق حمله السلاح إلى الحر ب فـــأوصى المطيق إلا يقيما**

فهذا المعنى – بحسب قول المبرد– لم يسبق إليه أحد(89). كما نجده يشير إلى صواب المعنى وطرافته وذلك حينما يعرض قول الفرزدق(90):

**بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت**

الذي يعدَّه من طريف المعاني، موئلاً قوله لم يشيموا بـــ : لم يغمدوا ؛ ولم تكثر القتلى أي: لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى بها حين سلت[91].

والمؤكد أن أبا العباس المبرد لا يخرج عما رسمه نقاد المرحلة في نظرتهم إلى الشعر ، نحو المقاربة في التشبيه ، وإصابة الحقيقة ، إذ يقول : " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبه بفطنته على ما يخفى عن غيره ، وساقه برصف قوي واختصار قريب"[92]، فهو يركز على الوضوح و إصابة الحقيقة إذ يقول معلقا على بيت " قيس بن معاذ:

**أشوقا ولما تمضي لي غير ليلة  رويد الهوى حتى تغب لياليا**

هذا من أحسن الكلام و أوضحه معنى" [93]؛ عليه فإن جودة الشعر عند المبرد ترجع لإصابة الحقيقة في القول، ومقاربة المعنى في التشبيه بعيدا عن الغلو والمبالغة ؛ ولعل هذا ما أدى به إلى أن يعقد بابا خاصا للتشبيه معطيا الأولوية للقدماء ثم المحدثين[94].

وإذا كانت مشكلة القديم والحديث مشكلة قائمة في كل عصر، إذ يتعصب قوم للقديم ويفضلونه، و يتعصب قوم للجديد ويقدمونه، فقد يطرح النص الأخير موقف المبرد من أشعار الفريقين ، وإن كنا نرى بعض التناقض في أقواله، فهو حينا يختار أشعار المحدثين لأنها أنسب بالعصر متمثلاً بها في نصوصه، وفي ذلك يقول : " هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة ، مستحسنة ، يحتاج إليها للتمثل لأنها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها في المخاطبات و الخطب و الكتب "[95]؛ وبهذا عُدَّ المبرد الأسبق في ربط الشعرية بالتطور حينما صدّر اختياره لأشعار المحدثين ، إذ أن تصريحه بموافقة هذا الشعر للعصر أكثر من الشعر السابق يدل بوضوح على انطباقه على الظروف وملاءمته لها[96].

على اننا نراه حيناً آخر يلمز المحدثين بالسخف و إن أجادوا في بعض المقطوعات قائلا : " فهذه قطعة من التشبيه غاية ، على سخف كلام المحدثين "[97] ؛ ولعل المبرد تنازعه أمران في هذا الحكم غير الحاسم ؛ الأول : التصور الشائع حول إجادة القدماء وتأخر المحدثين ، والآخر: الذوق الشخصي الذي يستحسن هذه الأشعار التي تناسب العصر؛ فهو كثيرا ما يعبر عن استحسانه من دون تعليل نحو قوله :" ومن التشبيه العجيب"[98] ، أو : " و مما استطرفنا من شعر المحدثين"[99] ؛ وإن علل فمن دون إسهاب وتطويل نحو قوله في بيت امرئ القيس :

**إذا ما الثريا في السماء تعرضت  تعرض أثناء الوشاح المفصل**

" وقد أكثروا في الثريا ، فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ، و لا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ" [100] .

ويبدو أنه كان حريصا على إمتاع القارئ بما يتمثله من الأشعار الطريفة النادرة ؛ كما فعل عند اختياره للمراثي ، لاسيما أنه وجد أمامه كماً كبيراً من الأشعار في هذا الباب كما يشير لذلك قوله : " لم يُقل في شيء قط كما قيل في هذا الباب؛لأن الناس لاينفكون من المصائب"[101].

كما نجده يلتزم بالطرافة و الإفادة عند حديثه عن الخوارج ، سواء أتعلق الأمر بصاحب النص ، كما في قوله : " و إنما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف ، و اتصلت به حكم من كلام و أشعار"[102] ، أم تعلق بالنص نفسه ، كما في قوله : " و لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى و أدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة "[103].

بل إن المبرد يصرح بهدفه المتمثل في إذهاب الملل عن القارئ أو المستمع،قائلا : " و هذا باب اشترطنا أن نخرج فيه من حزن إلى سهل ، و من جد إلى هزل ،ليستريح إليه القارئ ، و يدفع عن مستمعه الملال "[104]. والمبرد يحترم شعور المتلقي الذي يقدم إليه هذا الكتاب ، عندما يمسك عمدا عن ذكر بعض الأبيات[105].

ولقد كان المبرد سباقا في تبلور فكرة الموازنة ، بأن تكون بين الفنيين أو الغرضين المتشابهين ، فلا يجوز لنا أن نعقد موازنة بين فن المدح وفن الهجاء ، سواء أكانا في عصر واحد أم في عصرين مختلفين ، فضلاً عن ذلك أنه لا ينبغي أن تقام مفاضلة بين شاعرين أحدهما جاهلي والأخر في العصر الأموي أو العصر العباسي، وهذه معايير تبلورت فيما بعد لاسيما عند الآمدي الذي أفاد من كتب المبرد[106] ، ويتضح ذلك في أبيات الفرزدق التي انشدها في مجلس أمير المؤمنين سليمان التي يقول فيها :

**وركـــب كـــأن الريح تطلب عندهم  لها ترةُ من جذبها با لعصائب**
**سروا يخبطون الريـــح وهي تلفهم  الي شعب الاكوار ذات الحقائـــب**
**اذا انســـوا نـــارا يقولـــون ليتهـــا  وقد خصرت أيديهم نار غالب**

فأعرض عنه سليمان كالمغضب، فقال نصيب: يا أمـــير المؤمنين ألا أنشدك في رويها ما لعله لايتِضعُ عنها فقال هات : فأنشده :

**أقـــول لركب صادر أين لقيتهم  قـــفا ذات أوشال ومولاك قارب**
**قفوا خبرونى عن سليمان اننى  لـــمعروفة من أهل ودان طالب**
**فعاجوا فاثنوا بالذى أنت أهلة  ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب** [107]

ويبدي المبرد رأيه في تعليقه على الأبيات السابقة إذ يقول:" وليس شعر نصيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر ، وإنما يفاضل بين الشيئين إذا تناسبا"[108] .

وقد عرض المرزباني لبعض نقد المبرد للشعراء من ذلك قوله في أبي العتاهية : " كان أبو العتاهية مع إقتداره في قول الشعر وسهولته عليه ؛ يكثر عثاره وتصاب سقطاته، وكان يلحن في شعره ، ويركب جميع الأعاريض"[109]، وقوله هذا يفصح عن موقفه النقدي من شعر أبي العتاهية الذي يرى فيه أن أبا العتاهية مع رفعة قدره وعظمة شعره ، إلا أنه كثيرا ما كان يقع في سقطات لغوية فيلحن في شعره ومما خطأه فيه قوله :

**ولربما سئل النخيـــــــــــــ (م) ل الشيء لايسوى فتيلا**

والصواب له أن يقول : لايساوي فتيلا ، لأنه من ساوه ، يساويه(110) . ويراه المرزباني لا يكتفي بذلك إذ عاب أيضا على أبي العتاهية صرفه اسم ( يزيد) في موضعين على الرغم من كونه ممنوع من الصرف وذلك في قوله:

**لولا يزيدُ بن منصور لما عشــتُ هو الذي رد روحي بعد ما متُ**
**والله رب منـــى والراقــات بهــا لأشكــرن يزيــداً حيثمــا كنتُ**
**مازلتُ من ريب دهري خائفاً وجلاً فقد كفاني بعـــــد الله ما خفتُ**
**ما قلت من فضله شيئاً لأمدحـــه إلا وفضل يزيدٍ فـــــوق ما قلتُ**

على أن الضرورة هي التي الزمت الشاعر الوقوع في مثل هذا الخطأ اللغوي الذي عابه المبرد ، فلو أن الشاعر لم يصرف (يزيد) لكان في الشعر زحاف قبيح[111].

ويورد المرزباني نقد المبرد لقول الحميري :

**لو قنعت أتاني الرزقُ في دعةٍ إن القنوع الغنى لا كثرة المالِ**

إن القنوع إنما هو السؤال ، والقانع السائل ، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[سورة الحج، الآية 36] ، فالمعترض الذي يتعرض ولا يسأل يقال: قَنع ، يقنعُ ، قَنوعا" ، إذ سأل فهو قانع لاغير ــ وإذ رضي قيل : قنعَ ، يقنعُ ، قناعة"، فهو قَنيعٌ [112]. وهنا يرى المبرد أن الشاعر قد أخطأ إذ وضع الكلمة في غير موضعها الذي يقتضيه الأستعمال المعجمي ، وفي ذلك إساءة في الأستعمال وهو من المآخذ التي يأخذها العلماء على الشعراء[113].

وكلام المبرد يذكرنا بموقف الأصمعي من شعر حسان بن ثابت في الدعوة الاسلامية، إذ لان وضعف مقارنة بشعره قبل مجئ الإسلام ، (( وأبو العتاهية كذلك ، يغلب جانب الرسالة التي يتضمنها شعره – وأكثره تمحور حول الزهد والصلاح– على جانب الأختيارات اللغوية ؛ فجاء شعره كثير الزلل كما يرى المبرد)) [114] .

وختام قولنا :

إن تراثنا العربي حافل بالشخصيات المبدعة والنتاجات المميزة التي تستدعي قراءتها والوعي بها ، الأمر الذي يدعوننا لإعادة قراءة التراث والوقوف عند أعلامه ،ومنهم عالمنا المبرد الأزدي البصري والكشف عن لمحاته و آرائه وما شارك به في ميدان النقد الأدبي التي لا يحق لنا أن نغفلها .

ويعد المبرد على رأس الطبقة السادسة من نحاة البصرة ، وإليه ينتهي علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني . وقد اتفق المؤرخون له على أنه كان ثقة فيما يرويه ، وثبتاً فيما ينقله ، فتتلمذ عليه طائفة من العلماء ، وأخذوا عنه ، وصاروا أعلاماً وذوي آثار قيمة في مختلف ضروب المعرفة ؛ منهم الزجاج والأخفش الصغير وابن ولاد وابن السراج والدينوري وابن النحاس.

ولقد بنى المبرد نقده على الاساس الذوق والتزام المثل الأعلى فيما يتعلق باللفظ والمعنى، وأهم ذلك الوضوح، ومتانة الصياغة وجودة الاسلوب، والبساطة ، وكل واحد من هذه الصفات اساس لكل نظرة من نظراته البلاغية والنقدية، ويمكن أن نرجع إليها كل لمحة منه في الحكم على الكلام بالجودة أو الرداءة. وقد تجاوز في مؤلفه جمع واختيار النصوص، الى شرحها وتصويبها، وتتبع دلالات اللفظ الواحد في وجوهها المختلفة عند جمهرة الادباء والشعراء ؛ مما كشف عن ثقافته العربية العالية، وسعة علمه ومعرفته ، وان كان حظ النقد عنده أقل من اللغة والنحو والبلاغة ؛ فإن ذلك لايقلل من شأنه النقدي ولايقدح في أرآئه التي تستحق الى دراسات مستفيضة لمعرفة مدى تأثيرها فيمن جاء بعده واستقصى من علمه ومعرفته اللذين ساهم بهما في أثراء الحركة العلمية لعصره. وقد تبين لنا أن نقده قائم على مفهوم القراءة التجزيئية إذ يقوم على شرح الكلمات والبحث عن أصولها والأتيان بالشواهد عليها مما يمثل جانب النقد اللغوي ، والى جانب ذلك نجد جانبا جماليا يتمثل في أحكامه التي اصدرها فيما عرض له من نصوص أدبية تؤكد أن المبرد انطلق في اختياراته من أسس نقدية جمالية، يلخصها مفهوم "أدبية النص"، وهو ما تجلى في تقديمه "للمقول" على "القائل"، واهتمامه بسمة "الغرابة" في مختاراته، وتجاوزه لمفهوم

الزمنية، الذي يقدم كل ما هو قديم على ما هو محدث، وانفتاحه على نصوص متعددة ومختلفة على المستوى الفكري والمذهبي والسياسي والزمني ، مع أعتماده على مبدأ المفاضلة .

وفي نهاية البحث أرجو أن اكون وفقت فيه ، فإن وفقت فهو توفيق من الله عز وجل ، وإن كان غير ذلك فهو مني ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وافضل العالمين نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

**هوامش البحث ومصادره**

*ينظر ترجمته في : طبقات النحويين و اللغويين ،الزبيدي الأندلسي، ص101؛ وفيات الأعيان وانباء أبناءالزمان ،ابن خلكان ، ج4/ ص 314. وقد ذكره القفطي بـــ (بن حسان) ،أما الحموي فقد ذكره بـــ ( بن غسان) ؛ ينظر أيضا: إنباه الرواة على أنباء النحاة ،جمال الدين القفطي ، ج3/ ص240 ؛ معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين الحموي ، ج7/ص137.

(1) الفهرست، ابن النديم ، ص 265–266.
(2) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج4/ ص314.
(3) إنباه الرواة على أنباء النحاة ، ج3/ ص 253.
(4) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج4/ ص 320.
(5) ينظر: معجم الأدباء، ج19/ ص 111.
(6) ينظر: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج4/ص314 .
(7) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء إبناء الزمان ،ج4/ ص321،314؛ معجم الأدباء،ج7/ 142.
(8) ينظر: معجم الأدباء ، ج7/ ص 137.
(9) الفهرست،ص266.
(10) إنباه الرواة على أنباء النحاة، ص242.
(11) ينظر: الأعلام ،خير الدين الزركلي، ج8/ ص15.
(12) ينظر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،ج4/ ص319.
(13) ينظر: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عوض حمد القوزي ص179.
(14) الاشباه والنظائر في النحو ، السيوطي ، ج5/ ص124؛ وينظر: الاستشهاد في كتاب المقتضب للمبرد دراسة لغوية ،زروقي جمعة ،ص58 .
(15) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد الطنطاوي ، ص68 .
(16) ينظر: المقتضب ،ج3/ص292؛ وينظر: ديوان جرير،ص77، وقيل عن هذا البيت أنه أمدح بيت قالته العرب.
(17) ينظر: التشبيه عند المبرد ، وهيبة بن حدو ، ص32–41.

(18) إنباه الرواة ، ج3/ ص247 .
(19) التشبيه عند المبرد ،ص17 .
(20) الكامل ،أبو العباس المبرد ، ج1 /ص2 .
(21) التشبيه عند المبرد، ص 24.
(22) ينظر :المصدر السابق،ص24 .
(23) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، ج1/ص269 .
(24) إنباة الرواة،ج3/ص242 .
(25) معجم الأدباء ، شهاب الدين الحموي ،ج7/ص137.
(26) المقتضب ( المقدمة) ،المبرد ، ج1/ ص14؛ وينظر، معجم الأدباء ، ج19/ ص112.
(27) معجم الأدباء ،ج19/ص112؛ ورويت عن السيرافي في ؛ المزهر في علوم اللغة جلال الدين السيوطي ، ج2/ ص427 .
(28) معجم الأدباء ،ج7/ص 141 .
(29) ينظر:إنباه الرواة على أنباء النحاة،ص5؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،ج1/ص269.
(30) في طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي الاندلسي ، ص 101 .
(31) أخبار النحويين البصريين ،السيرافي ، ص78 ؛ وينظر: معجم الأدباء،ج7/ص137.
(32) أخبار النحويين البصريين ، ص78 ؛ وينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادرحسين ،ص201 .
(33) تهذيب اللغة ، الأزهري الهروي ،ج1/ ص34.
(34) سر صناعة الإعراب ، ابن جني ،ج1/ ص140.
(35) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ج3/ ص 380 .
(36) ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة ،ج3/ص 247 .
(37) ينظر: تاريخ البلاغة العربية ،عبد العزيز عتيق ، ص41.
(38) الكامل ،ج1/ص18.
(39) المصدر السابق ،ج1/ص18.
(40) المصدر السابق ،ج3/ص22.
(41) الكامل ،ج3/ص22، ولم نعثر على البيت في الديوان.
(42) المصدر السابق ،ج1/ص213.
(43) الموجز في تاريخ البلاغة ، مازن المبارك، ص61.
(44) الكامل ، ج1/172،ج1/213.
(45) ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، صمود حمادي، ص360.
(46) ديوان امرئ القيس، دار صادر ،ص 145 .

(47) الكامل ،ج2/ص40.
(48) الكامل ،ج2/ص40-41، ج3/ ص25.
(49) ديوان الخنساء ، دار بيروت ،ص49.
(50) الكامل ،ج2/ص50،ج 3/ص 36.
(51) ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة ، ص67.
(52) ديوان ذي الرمة ، دار صادر ،ص290.
(53) الكامل ،ج2/ ص89.
(54) المصدر السابق ،ج2/ص104.
(55) ديوان بشار بن برد ، ج4/ص70.
(56) الكامل،ج2/ص112.
(57) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، ج5 /ص 1976،حديث رقم 4851.
(58) الكامل ،ج2/ص5 ، ج 2/ص 214.
(59) ينظر: التفكير البلاغي عند العرب ،ص352.
(60) ينظر : الكامل ، ج2/ ص6.
(61) المصدر السابق ،ج2/ص6.
(62) ينظر: المصدر السابق ،ج2/ ص6.
(63) المصدر السابق ،ج2/ ص6.
(64) ينظر: المصدر السابق ،ج1/ ص166-381.
(65) ينظر: المصدر السابق ،ج1/ ص212-223 ؛ ج2/ص68.
(66) المصدر السابق ،ج1/ ص135.
(67) المصدر السابق ،ج4/ ص127-128.
(68) ينظر: الجامع لاحكام القرآن، القرطبي ، ج1/ص194.
(69) ديوان جرير، دار صادر، ص454.
(70) ينظر: المقتضب، المبرد، ج4/ص139.
(71) الكامل ، ج3/ ص97-98.
(72) المصدر السابق ،ج4/ص39.
(73) ينظر :اللغة العربية، تمام حسان ،ص324.
(74) ينظر : فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي،ص189.
(75) المصدر :الكامل ،ج1/ص17.
(76) ديوان عنترة ، دار صادر، ص25.
(77) ديوان الحطيئة ، دار صادر ،ص 184. وقد ورد فيه بغير اللفظ واللفظ بتمامه
وذاك فتى إن تأته لصنيعة *****إلى مالـــــــــــــــه لا تأته بشفيع

(78) ينظر: الكامل، ج1/ ص18.( ولم يرد ذكر أسم قائل البيت)
(79) ينظر: الكامل ، ج1/ص18.الكنائس : الموضع الذي تاوي إليه الضباء؛ رميم : اسم جارية .
(80) ينظر: المصدر السابق ، ج1/ ص 19.
(81) المصدر السابق ج1/ ص20-21.
(82) المصدر السابق،ج1/ ص21.
(83) المصدر السابق، ج1/ ص 28.
(84) المصدر السابق، ج1/ ص 28.
(85) المصدر نفسه ،ج 1/ص28.
(86) المصدر نفسه ،ج2/ص119.
(87) المصدر نفسه ،ج2/ص119.
(88) المصدر نفسه، ج1/ص31.
(89) ينظر: المصدر السابق ،ج3/ ص104.
(90) ينظر:المصدر السابق،ج1/ ص244.
(91) ينظر: المصدر السابق ،ج1/ ص244.
(92) ينظر: المصدر السابق ،ج1/ ص234.
(93) ينظر: المصدر السابق ،ج1/ ص234.
(94) ينظر : المصدر السابق، ج 3/ ص25.
(95) المصدر السابق ، ج2/ص3.
(96) الناقد والتحول من القديم الى الخطاب المحدث، عباس بن يحيى ، ص 9.
(97) المصدر السابق، ج3/ ص 37.
(98) المصدر السابق ، ج3/ص27-32.
(99) المصدر السابق ،ج4 /ص79.
(100) المصدر السابق،ج3/ ص25.
(101) المصدر السابق ،ج4/ص14.
(102) المصدر السابق ،ج3/ص175.
(103) المصدر السابق ،ج 3/ص179.
(104) المصدر السابق،ج 3/ص3.
(105) المصدر السابق ،ج 1/ص258.
(106) ينظر: الموازنة، الامدي ،ج 1/ص84.
(107) الكامل، ج1/ص148.
(108) المصدر السابق ،ج1/ص149.
(109) الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، المرزباني ، ص406.

(110) ينظر: المصدر السابق ، ص406.
(111) ينظر: المصدر السابق ، ،ص406.
(112) المصدر السابق ، ص457.
(113) ينظر: النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري ، فريدة بولكعبيات ،ص24.
(114) القضايا النقدية في كتاب ( الموشح ) للمرزباني ، سمير بعوش ،ص24– 25.

## مصادر البحث :


1. القرآن الكريم.
2. أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط1، (د.ت).
3. أخبار النحويين البصريين، ابو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي(ت368هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنهم خفاجي ، الناشر :مصطفى البابي الحلبي ، 1373هـ – 1966م.
4. الاستشهاد في كتاب المقتضب للمبرد دراسة لغوية ، زروقي جمعة، كلية الآداب والعلوم الأنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، 2008–2009م.
5. الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط1 ، 1406هـ – 1985م .
6. الأعلام ، خير الدين الزركلي، ط3،(د.ت) .
7. إنباه الرواة على أنباء النحاة ، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة– مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406 هـ –1976م .
8. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط1، (د.ت).
9. تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، لبنان ،ط1، د.ت.
10. تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ،(د.ط) ، (د.ت) .
11. التشبيه عند المبرد ، وهيبة بن حدو ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الأنسانية والأجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2005–2006م.

12. التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، صمود حمادي ،منشورات الجامعة التونسية – طبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،ط1 ،1981م ، ص352.
13. تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي، تحقيق أحمد عبد الرحمن مخيمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط1، 1425هـ–2004م.
14. الجامع لاحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، اعتني به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط1، 1406هـ– 2002م.
15. الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ، ط3 ، 1407هـ – 1987م .
16. الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي،1371ه–1956م.
17. ديوان امرئ القيس، دار صادر –بيروت ، ط1، 1414هـ – 1994م.
18. ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور – الشركة التونسية للتوزيع ، ط1، 1979م.
19. ديوان جرير، دار صادر،بيروت ، ط1، 1991م.
20. ديوان الحطيئة ، وأبو عمرو الشيباني أبو سعيد السكري من رواية بن حبيب عن ابن الأعرابي (شرح السكري ) ، دار صادر بيروت ، ط1 ،( د.ت).
21. ديوان الخنساء ، دار بيروت للطباعة والنشر ،ط1،1398هـ–1978م.
22. ديوان ذي الرمة ، وهو غيلان بن عقبة العدوي ، راجعه وقدم له وأتم شروحه وتعليقاته زهير فتح الله ، دار صادر –بيروت، ط1، 1995م .
23. ديوان زهير بن أبي سلمى ،دار صادر– بيروت.
24. ديوان عنترة ، دار صادر– بيروت، ط1، 1416هـ– 1996م.
25. سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان، ط1 ، 1421هـ–2000م.
26. طبقات النحويين و اللغويين ،الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، ط 1، 1979م.
27. فقه اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر، ط3 ، 2004م .
28. الفهرست، محمد بن اسحاق ابن النديم ، تحقيق : مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للشر – ط1، 1406هـ –1985م.

29. في طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي الاندلسي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ،ط1 ،1979م.
**30.** القضايا النقدية في كتاب ( الموشح) للمرزباني ، سمير بعوش ،(رسالة ماجستير) ، كلية الآداب واللغات –جامعة مولود معمري تيزي وزو ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2012م .
31. الكامل ،أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط1 ، د.ت.
32. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط5، 1427هـ– 2006م.
33. المختصر في تاريخ البلاغة، عبد القادر حسين، دار الشروق،ط1، 1402هـ–1982م.
34. المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت، (د.ط) (د.ت).
35. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عوض حمد القوزي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط1، 1401هـ–1981م، ص179.
36. معجم الأدباء ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، راجعته وزارة المعارف العمومية ، دار المأمون ، الطبعة الأخيرة ،(د.ت).
37. معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي، ط1 ، د.ت.
38. المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، 1382هـ–1963م.
39. المقدمة، ابن خلدون ، النهضة مصر – القاهرة، ط3، (د.ت).
40. الموجز في تاريخ البلاغة ، مازن المبارك ، دار الفكر ، ط2 ، 1400هـ–1979م.
41. الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، المرزباني، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1385هـ– 1965م .
42. الناقد والتحول من القديم الى الخطاب المحدث، عباس بن يحيى ، جامعة عنابة – الجزائر ، مجلة التواصل ، العدد11، ديسمبر2003م.
43. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد الطنطاوي ، دار المنار ، 1412هـ– 1991م.
44. النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري ، فريدة بولكعبيات ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب جامعة منتوري– قسطنطينة ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2008–2009م.
45. وفيات الأعيان وانباء أبناءالزمان ، ابن خلكان ، دار صادر – بيروت ، ط1 ، 1970م.

# Performed rhetorical and monetary at the radiator Azadi - new lighting

**Assistant Professor Dr. Ban Hamid Farhan**
**University of Baghdad - College of Education for Girls**

## Abstract

The most important thing in the biography of the scientific radiator is its teaching by a group of great scholars such as: Abu Hatem al-Sijistani, al-Mazzani and al-Riyashi. It also teaches on its hands and is taught by a number of scholars such as: He was the imam of his time in the language and literature after Sheikh Almazni, and his knowledge has had a great impact on the diversity of his research fields, and has attracted the attention of many researchers and scholars to His grammatical and linguistic efforts, while the coolant has critical opinions Taint in his books; the question that arises here: Was it clear to file cash efforts in the Arab Monetary? Can we prepare him as a critic of the era? Was his criticism confined to linguistic and grammatical aspects without touching the rhetorical and aesthetic faces of literary texts? Its place and the views of its old critics.

In this research, we will focus on answering these questions according to an analytical descriptive approach based on the extrapolation of texts and their analysis, explaining the personality of the radiator and its status among contemporary scientists, as well as the presentation of its critical efforts in theory and practice.